

سُوف كِيدِ

# نُورَةُ الْمَلْحِ



# نوّارة الملح

## أجمل البنات

أجمل البنات  
الآن تنظر في ساعة الحائط  
الساعة دقت السابعة مساءً  
هيات نفسها لضمة الوالد  
في هذا الشتاء البارد  
قفزت إلى الكرسي تقربه  
صعدت فوقه  
نظرت من النافذة

أجمل البنات  
تُطل على أبيض الثلج  
من سواد الليل  
الساعة الثامنة دقت  
دق القلب مرّتين  
مرّة للوالد  
مرّة للعائد  
هو الآن بالمحطة يصعد القطار  
وسط الرّحام  
لا بأس إن تكسّرت الشكلاطة  
في جيبه  
لا بأس إن سُرقت حافظة نقوده  
مرّة  
ووصل آخر الشّهر  
بيد فارغة  
والأخرى  
لا شكلاطة فيها ولا حلوى

هناك... الآن  
حذاء يقع على الجليد ببطء  
هناك... في المنعطف رجل  
قد ضربه الزمهرير  
لفاً ياقته جيداً  
ودسّ رأسه بين كتفيه أكثر

عندها  
دمعة البنت سالت على الزجاج  
فصارت  
سبعة أنهار  
تنبع في قلب العالم

## الجسد

أيها الجسد الخيل والليل  
أيها الجسد النهار والنوار  
أيها الجسد البركان والطوفان  
أيها الجسد الرياح واللّقاح  
أيها الجسد الثمار والنوار  
أيها الجسد الفصول والوصول  
أيها الجسد التراب والخراب  
أيها الجسد الشهوة والرغوة  
أيها الجسد الجسد الجسد  
إشتغل وإنطفئ  
كن لهيب المدفئة  
كن رماد المنفضة  
فأنت الليلة  
رجل  
بدون  
إمرأة

## الجسر

كانا تقاطعا عند الجسر  
قادم من الليل  
ذاهبة إلى الفجر  
غامض كالسحر  
صافية كالنّبر

كانا وقفا على الجسر  
مرّت سيارة فوق الجسر  
أحسّا بلفح الهواء  
مرّ زورق تحت الجسر  
أبصرا موج الماء

كانا صمتا في الجسر  
حطّت كالحمامة  
طار كالنّسر  
كانا تباعدا عن الجسر  
هو : نحو النّبع  
إلى النّهر  
هي : صوب المصبّ  
إلى البحر

كان إفترقا من الجسر  
حيث لا يدري  
حيث لا تدري  
غير أنّهما تركا ظلّيهما اليد في اليد  
يجربان  
مع النّهر

## الزورق أكبر من البحر

إخلعي معطفك قبل الجلوس  
زائرتي  
أم أنت على عجل  
بيتي : مخبأ للشموس

لمثل دكنة الشّتاء اليوم  
في الطّرق  
وليكن حديثنا ذا شجون  
في الصوت شجن  
شّجن في المطر  
مطر على الشّجر  
شجر في المدن  
مدن على الوطن  
وطن في العفن

إذن  
لك الآن  
أن ترحلي  
لا تنسي معطفك  
معلّقا بالمشجب  
كالسّحب في الأفق

أغلقي الباب جيدا  
بعد أن تنسحي  
لست موجودا

الأزهار مجروحة ... ننته  
الأعشاب مداسه ... عفنة  
لا النسيم في الحديقة  
لا الأطفال يصخبون  
... لا العنّاق في المقاعد  
يتلامسون .... ويتوارون في الممّرات الخلفيّة

الأعصان قضبان  
الأوراق حديد  
إخّصّف عليك .... منك  
ورق الأحزان  
... و إنزل ... هنا  
قد يريح كرسيّ الخشب هيكل البلّور  
و يعرّش أضلاع الرّجاج  
تساقط عليه

أَجْرَدَ من ثيابك  
وانضُدْ أزرارك على الطاولة  
وحملق من وراء الحدقتين  
هل أحد يشبه أحدا ؟  
هل أنت تشبه ظلك ؟  
ولا حتى وجهك  
والبصمات ؟

إِسترح سيّدي ... نجومك إنكدرت  
لماذا جيبك أخايد ؟  
لماذا عينك غائرتان ؟  
هكذا

بدون بريق  
لا دمع ... لا هدب  
شفتاك مفلّتان ... هكذا  
لا صوت ... لا صدى  
كآلهة قديمة  
قَصِقْ بالمساء والصّباح  
ما كان صباحك بالخير  
ما كان مساؤك خيرا  
لا أهل ... لا سهل ... لا سلام  
أبدل عادات الكلام  
التحيّة في الرّداءة  
عادة سيئة

كلّ الجهات صدئة  
فيا طارق الأبواب ... دونك الأبواب  
موصدة  
من أين تدخل تونس سيّدي ؟  
باب الخضراء  
قوس نصر للأغنياء  
وطابور للفقراء  
باب البحر  
لا بحر فيه ولا موج  
باب الجزيرة  
مراكبه عند الإفرنج أسيرة

باب الجديد  
مساميره صديد  
باب المنارة  
قنديله عليه ستارة  
باب القصة  
باعوا قفله  
أحرقوا خشبه  
باب البنات  
عاشق  
في الموعد .. مات  
باب سعدون  
يفتح على السجون

من أين تدخل تونس سيدي  
وجامع الزيتونة  
حمامه ... مع المؤذن ... صاح  
فدبح على الفلاح  
والقيروان  
زرابي نمارق  
في الفنادق  
وهدايا للسياح

يا تونس الأنس نامي على الأحزان

...أسدل سيدي  
حجاب  
على كل باب  
وأنقش بالخط المغربي  
حروف الأبجدية  
عربي .. عربي .. عربي  
هو المفتاح

... ربما  
ربما تفقد حروفك وصوتك تماما  
ربما تنسى سُمرتكَ وبسْمَتِكَ دافقَةً  
وفي حضرة من تهوى

قد لا تصيبك رعشة  
فتعجز حتى عن ردّ التحيّة  
... بمثلها  
بارد ... بارد ... بارد  
دم ... تخنُّر في العروق  
فتدثّر من لحاف الصّقيع  
وذوّب قطعة السّكر  
في الأسود  
وترشّف فنجانك على مهل  
وإبرُمحك ... كَفَى

...طوبى  
طوبى لليد التي ما تلتطّخت  
إلّا بالحبر  
وما علقت إلّا  
بذؤابة شّعر  
وما إمتدت إلّا  
لتلقى الأحيّة بالسلام  
طوبى سيّدي للصدر الرّحب  
حوى ما حوى  
قد حوى واحة  
وزوجي حمام  
في الفضاء ... حلّقا ... حلّقا  
فأبسّط راحتك مباركة  
على السّباخ والبراري  
جبرا وحرثا ... وبذرا  
ثمّ إسقها من مقلتيك  
بازغة نوّارة الملح  
من كلّ جرح

إذن  
خذ نفسا سيّدي ... وتراوح  
وأصمت هنيهة ... هنا .. يا فتى  
صامت ... شامخ  
مُثقل بالرّوى  
نخلُ أنت

وعراجينك رطبة خضراء  
ألا سح عينيك لترى  
قمرا ... لا سماء  
شجرا ... لا مدى  
سمكا ... ليس في الماء  
مطرا ... كالبكاء  
وبشرا يفترس بشرا  
في نهم  
أمم كالغنم  
لحم على وضم  
دم / ألم / دم / ألم  
أشلاء ... في الخلاء

ترى ما ترى ؟  
ترى قافلة تلو قافلة  
في طريق قاحلة  
لا ظلّ / لا حبل / لا ماء  
تصل / لا تصل  
سير ... لا تخفّ  
لا أحد ربت على الكتف  
لا أحد يأخذ باليد  
سيدي  
طريق دون رفيق

تُرى ما تُرى ؟  
تُرى طيرا بجناح واحد  
حلّق في السحاب  
تعب على أرق على سفر  
يسقط / لا يسقط  
ربّما ... ربّما ... ربّما

## الشهر التاسع

أيتها الزوجة في شهرها التاسع  
مضت شهور الوحم  
مضت أشهر الألم

فمن يكون  
في الرَّحْمِ؟  
ذَكَرَ : مشحون رجولة  
أو  
أُنْثَى : مليئة خصوبة ؟  
بأيِّ صيغة أخطبه ؟  
بالمذكَّر  
بالمؤنث ؟  
وهل تراه يسمعي  
وهل تسمعها تراني ؟  
آه .... يا لغتي الفصحى  
حروفي على لساني  
مُرجرجة وجرحي  
... الآن  
لا تهم صيغة القصيدة  
فاللغة كالمرأة .. كالعالم  
مهينة إلى ولادة جديدة  
الآن  
أيتها الزوجة السعيدة  
تطلُّ بطنك على الدنيا  
كما تطل تونس على المتوسط  
أيتها المرأة في الهلال التاسع  
لا تُخفي الكرة الأرضية  
بواسع الملابس  
فلقد أزعجها الليل  
بالظلام الدَّامس  
..... الآن  
تستريح الخيل  
فلقد كنتِ كالمهره  
ولقد كنتِ كالفارس  
تهادي الآن في مشيتك  
مشي الحمام  
آسف ... آسف  
إن كان من الآلام  
أيُّها الجنين تعجِّل

لا تتمهّل

لعلك تفتح الأبواب

لعلك تزرع في الخراب

أيها القادم من بعيد

الدنيا عندنا : لا جديد

والطقس ضباب وسحاب

لا الشمس في السماء

والخبر بالدماء

فاستعد للبكاء

برغم الرّغردة

أيتها اللغة الجميلة

ألهمني وسيلة

لأخاطب من في الشهر التاسع

وأختار له أجمل الأسماء

هل أسميه محمّدا

فيكون كالأنبياء

لا

فالعصر للعلماء

هل أسميها هنداً

ما أنجزت - وعدا - إنها

ككل الأوفياء

إذن

أسمّي طارق بن زياد

أو الناصر صلاح الدين

أو شهرزاد

الأندلس ضاعت

ضاعت القدس

وما زلنا نحلم بالفاتحين

فالتاريخ نفسه لا يعيد

إذن

سأبحث عن إسم جديد

أيتها الجنية في حلمها التاسع

الآن ... قبل فوات الأوان

يمكنك أن تضعي اللمسات الأخيرة  
... لعينيك - لشعرك - لشفتيك  
يمكنك إن شئت  
إعادة التفاصيل الصغيرة  
أيتها الجميلة ؟  
هل قلت للمدينة : صباح الخير  
كم ستتعبك التحية كل يوم  
كم ستثقلك الملابس كل يوم  
كم سيعطلك الماكياج كل يوم  
..... كل يوم  
قناع ... وسباع ... وضياح  
في غاية الحياة  
وآخرها حفرة وكفن  
للممات  
هو الزمن  
هو الزمن

يا أيها الجنين في الخلق التاسع  
الآن  
تختار مع أمك ملابسك الأولى  
بالطريزة وبالأزهار  
بيضاء ... بيضاء  
... كشجرة اللوز في البراري  
غدا ... صباحا ... على السادسة  
إنهض واغسل وجهك  
ثم افتح عينيك جيّدا  
هل ستري ما رأينا  
كونا جميلا  
وقيودا في يدينا  
إنه زمن الرداءة والبؤس  
فأرفع رأسك عاليا  
عند  
سقوط الرأس

أهلا بك في هذا الكون الشاسع  
سهلا بك في هذا الدهر الضائع

لك عندي ما أقول  
وحديشي يطول  
فنحن الكبار  
نحسن سرد النصائح للصغار  
ندعي تجربتها في الأعمار  
ونحن أصفار على أصفار  
فمنذ عصر الحجريّة  
لم توفر الإنسانية  
إلا قنبلة ذرية  
للدمار  
وما حققت شبرا واحدا  
من الحب والحرية  
للصغار

بعد الشهر التاسع  
يا من في المضارع  
يأتي زمان ... يمضي زمان  
ولم أخبر أحدا  
عن وحمي  
فلم يعلم احد  
بألبي  
آه .. يا ولدي .. لو تدري وجعي  
هو الجنين الآن  
يتحرك بين أضلعي  
فهل ألد؟

## الصّفائر

مرة  
جئتني محلولة الشعر  
يذري على الخصر  
كنت  
أحسست  
بالورق  
يرفّ  
في الشجر

مرّة  
جئتني مضمفورة الشّعير  
حبلان من مسد على الصّدر  
حبل للوثق  
وحبل للشنق

مقصوصة الشعر  
جئتك مرة  
تبتّ يدا من قصّ  
إنما الذي أحسّ  
كان  
بين السيّاف  
...والمشنة

## الطّين

الولد الذي لعب بالطّين  
جعل منها بيوتا  
خيولا  
وإبلا

الولد الذي جلس في الشمس  
نام في المغارات  
لُدغ بالعقرب مرّات  
عدّ نجوم السّماوات  
وَلد لم يكبر  
برغم الشّارب الغليظ  
برغم خاتم البنصر  
برغم الشّيبة الأولى

الولد الذي ظل ولدا  
مازال يجلس في الصّمت  
يقف في القلق  
يراقب جدرانا مشقّقه  
حوافر مغلّلة

فوارس مثنخة  
وهوادج بلا زغردة

الولد الذي لعب بالطين  
حزين حزين  
جفت بسمته كالطين

## الغار

غار حوشنا القديم  
مثله مَثَلُ رحم الأرض  
دافئ في ظلامه  
أليف في صخره  
لا وحي فيه  
! إلّا... همس الأرض

في حوشنا القديم  
مائدة الشاي كانت  
تجلس القرفصاء  
في الظل .. بيننا  
مرة في الصباح  
مرة في البكاء  
حينما  
خرجت جدتي في بياض البياض  
إنتظرت  
إنتظرت  
ولم تعد

في حوشنا القديم  
أبي .. مترجع على حصيره  
حبة إثر حبة ... في سبحته  
صحراء في صمته  
أسمر في جيبته  
البيضاء

أمي

عروس دائما  
ما أحلى بسمتها في سواكها  
بين الجمر والفنجان يدها  
لماعة فضتها في سوارها  
أمي

في حوشنا القديم  
الشمس  
ترتقي... تتدحرج أمامي  
ثم تغرق في الرمل  
النجوم  
أقرب إلي من السوق  
كم مرة اشتريت عينا  
تصاوير بالألوان  
من الأقمار  
كم مرة ركب الهلال أرجوحة  
وغسلت له يديه  
في إناء الفخار

في حوشنا القديم  
الشوك والحصى  
أقدامى كانت الأرض  
على مدى البصر  
بلا حذاء .. بلا حدود  
وبلا جواز سفر

## المقهى

الذين جلسوا هنا  
الذين يجلسون هناك  
زجاج  
دخان  
كلام  
من ستثبت بصماته  
بعد مسح الطاولة ؟

## النملة

النملة التي تدبّ على مهل  
على عجل  
تحت الصخر وفي الحرث  
تحلم بالجيفة و بالقمح

النملة التي تجوب المِصر  
والقفر  
تدخل المغارة و القصر

النملة الكادحة الفالحة  
بلا عطش بلا ظل  
النملة التي تلتصق بالأرض  
تتسلق إلى الثمر  
تؤنس في القبر

النملة التي تملأ العين  
وتشرب الرّبن  
تدوسها القدم  
بعد ذلك  
تراها تمضي

## ذو الجناحين

يجلس في صمته  
لا يرّد التحيّة  
لا يُلقي السّلام  
هو / يسير في الشوارع  
يشقّ الأزقة والرّحام  
هو / يطوي جناحين إلى جنبه  
مُخفيا حفيفهما تحت ثيابه

جناح من ريش حمام  
جناح من شرّاع سفين

هو / مثقل بالمسير والرؤى  
يعود متعبا منسرحا  
هو / لا ينام  
هو / يصعد إلى أعلى سطح عمارة  
يُطلُّ على الإسمنت والحديد  
ثمَّ ينثف ملابسه  
يمزق الأوراق / يكسّر الأقلام  
همس ببعض الكلام  
(ما سمعه أحد)

هو / ينشر جناحيه  
على التبرّ والبحر  
ويطير

## خيول الإفرنج

عندما كان عمرها سنين عددا  
... كانت  
تخرج مع أبيها كلُّ صباح إلى الأسواق  
تدفع معه العربة  
... وتعود  
يدها في يده مسرورة فرحة  
... مع المساء  
ومع الأيام  
تعلمت أن تهيم في الأسواق حافية  
تلاحق السيّاح  
... وكان  
أن وجدت ذات يوم قدميها  
... في حذاء  
أعطاه لها شيخ في سقيفة

... بعدما  
لم تحسن ربط الحذاء  
في بادئ الأمر  
ومع الأيام  
تعلمت ربط الحذاء  
فمشيت فيه  
أحسّتها أنها والدنيا في حذاء

من إحراق الكتب  
سواري المساجد سوداء  
وخيول الإسبان تريض في صحن  
جامع الزيتونة  
حمام جامع الزيتونة يحوم حول السطوح  
ينتظر أذان الفجر  
يلتقط القمح  
من الصومعة

عندما كان عمرها سنين عددا  
كانت تجالس العاطلين في المقاهي  
تعرج عنهم إليهم في دخان السجائر  
تتورّع على أكفهم مع أوراق اللعب  
وتسرح ساعة أو ساعتين  
على ثيابهم الزرقاء  
وتغيب  
ترسم وجهها الشبحي من على الجسر  
في الماء  
الأسماك تسبح كما تشاء  
وتعود

يتفتح التفاح على خديها  
أحسّتها بصدرها ثقل الرمان  
وبزهر اللوز في عينيها

حالمة شرفات القصر في الصيف  
يمروح عليها النسيم البحري  
الجواري أحسسن الليلة بالحرّ  
نزلن عاريات إلى البحر

يتلاعبن تحت القمر  
والغلام الصقليّ يتململ  
تحت سيّده

عندما كان عمرها سنين عددا  
كانت تقف مع النَّاس في البطحاء  
العسكر يُكركر رجلا من رجليه  
وعلى صغرها  
صبرت على جلده  
تصبّرت إلى أن قطعوا لسانه  
يديه - رجليه - رأسه  
ساءلت النَّاس  
قيل لها ... بالهمس... في الأذن  
عرفت من وقتئذ حمرة الدّماء

آبار النفط تتشمّس على الرّمل  
يجري من تحتها النّقط  
قوافل البدو تشدّ رحالها إل الواحة  
سكت حادي النّياق  
تمثّل له الكتبان سائحة أمريكية  
إرتجل فيها ألف بيت من الشّعير  
وأنشدها للنّياق  
وحدها النّياق  
تعرف لظى الرّمل

عندما كان عمرها سنين عددا  
كانت تدخل البحر إلى كعبيها  
تسرح خصلات شعرها في الرّيح  
يرقبها الصيادون العائدون شبّاكا  
شبّاكا محمّلة بالحيتان  
ضفرت شعرها غصني زيتون  
وراحت تضرب قدميها في الصّحراء  
تجري مع الغزلان  
تلوح لها بين الكتبان ظلال الواحة  
وجداول الماء  
.... الشّمس

تشرق إذ تشرق  
من بين سعف النّخيل

أحذية التلاميذ سلختها وعرة الوديان  
الطّريق وعرة طويلة إلى المدرسة  
قصيرة عذبة باللّعب  
ترسم الشّمسُ على جباههم بالسّمرة  
خرائط الآتي  
تجمّعوا في سوق القرية  
حول سيارة الإعانة  
وساءلوا السّائق عن معنى  
- USA -  
مكتوبةٍ على الأكياس  
والعُلب

عندما كان عمرها سنين عددا  
كانت تنقش إسمها  
على حنّاء العرائس  
وتحمل تحت معطفها الألبام  
في الأسواق - في زحامها - مع النّاس  
وحينما ينهمر على كتفيها اللّيل  
في قلعة النّحاس  
ترنو إلى الهلال يميل على المئذنة  
يحنو عليها  
كما ينحني على جفنيها النّعاس  
فتنام إلى أن يتبيّن لها  
الخيوط الأبيض من الخيوط الأسود  
على أحصرة المساجد

موسم الحجّ إنقضى كالعادة على أحسن ما يرام  
حسابات شركات الطّيران سجّلت  
إرتفاعا هذا العام  
مات من الحجّاج ألف  
داسوا عليهم في الرّحام  
- عاد الحجّاج إلى قواعدهم -  
- سالمين -

يثقلون حقائبهم بالبخور واللّوبان  
مرّدين وصية حارس قبر الرّسول  
في المنام

وحده إبليس يحمل  
تبعات الدّنوب  
فُيرجم في كلّ عام  
بالحجارة

عندما كان عمرها سنين عددا  
كانت ترقص في القشلة على روث البهائم  
تتنقّس على مفض صنان الجنود  
كلّ الغزاة مرّوا من مضيق نهديها  
وكان أن راحوا  
لم تكن تدري أنّهم ليعودوا  
وترقص لهم على الرّابي  
في فنادق السيّاح

خيول الإفرنج تهوي الترحلق  
على الرّمال  
ترتوي من آبارها في الصّيف  
تتمرّغ على دفنّها في الشتاء  
وتحجب عنها الشّمس بالغربال  
وتناولها كلّ موانع الحمل

أهرمات الجيزة يقطر منها مع التاريخ  
عرق العبيد  
سلاسل الأطلس توثقها السّلاسل  
البحر المتوسّط يحلم على أبيض الرّيد  
البحر الحمر يتوق إلى ذروة الحمرة  
والخليج ينام على الأملاح  
وجنّات عدن  
تصير إخضراراً على الصّحارى  
تسقيها مياه السّدود

عندما يكون

عمرها سنين عددا  
تتعلم المشي على الماء  
تكبر قدماها على الحذاء  
تتسع خطواتها على الجسر  
تعبر الجسر مع العابرين  
عيونها  
عيونهم  
في الشمس

1974

## علاقة

اللقاء الأول  
حضرا معا قبل الموعد  
جلسا وتركا بينهما مساحه  
سبق الكلام الشفاه  
كان الوقت مضى  
أسرع من دقات القلب

اللقاء الثاني  
حضرا قبل الموعد أيضا  
كانت الأصابع مباحة  
الكفين مدًا اليدين وقر  
لقد كان توأمين  
حينما إفترقا ... في السّاحة  
... إلتصقا  
وصارا نصفي تفّاحة

اللقاء الثالث  
خلعا خرق الدنيا  
لبسا أوراق الجئة  
كان آدم ... كانت حواء  
وأكلا من التفّاحة ..

